التعليم المهني في ديالى.. جبل من المشكلات!

بنايات ومكائن ومناهج قديمة، وشعور بالهامشية والإهمال!

ديالى / المدى

مؤشرات كثيرة يمكن الركون إليها واعتمادها لقياس مدى التقدم العلمي والحضاري لأي مجتمع ، والمستوى الذي عليه التعليم المهني هو واحد من تلك المؤشرات ، فمن خلال هذا التعليم يجري إعداد الملاكات الفنية الوسطى التي تأخذ على عاتقها مهمة تسيير العملية الإنتاجية والتنموية ، في البلد ، في مجالات الصناعة والزراعة والإدارة. وإذا كان التعليم المهني قد شهد تطوراً نسبياً في عقد السبعينيات فإنه عاد وتدهور واقعه بشكل خطر بدءاً من الثمانينيات ووصل به الحال إلى وضع لا يحسد عليه في تسعينيات الحصار. أما اليوم فهو ينوء بعبء إرث ثقيل ، ويعاني التخلف والإهمال ، ومن خلال القيام بجولة ميدانية في عدد من مدارس التعليم المهني يمكننا الوقوف على ركام من المشكلات التي تتطلب حلولاً جدية لتجاوزها. ويعد النهوض بواقع هذا التعليم واجباً وطنياً في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا ، ونحن بصدد بناء عراق جديد مزدهر.

مشكلات البنايات والمستوى الدراسي

يبدأ مدير إعدادية بعقوبة المهنية للبنين السيد رعد عبد الهادي حديثه عن واقع ومشكلات التعليم المهني في ديالى بتشخيص مجموعة من المعضلات منها، والكلام له؛ إن معظم بنايات المدارس المهنية في المحافظة قديمة ولم تصمم لتكون مدارس مهنية، وإنما مدارس ابتدائية، مع عدم توفر وسائل الراحة في أغلب المدارس سواء للمدرس أم للطالب حيث تفتقر هذه المدارس إلى الكراسي والمناضد والمدافئ والستائر وفرش الأرض الكافية، وكذلك عدم وجود رحلات ومقاعد دراسية حديثة للطلاب، ناهيك عن الحالة البائسة للصفوف والغرف و المرافق الصحية لهذه المدارس، وزاد الطين بلة تعرض بعض المدارس المهنية للسرقة والتخريب بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣ ليضيف لنا معاناة جديدة، فضلاً عن أن أغلب المدرسين لم يدخلوا دورات تدريبية في مجال اختصاصهم منذ فترة طويلة، فهؤلاء المدرسون منفصلون تماماً عما يجري من تطور في العالم، والمدرسون بحاجة إلى دورات في طرائق التدريس الحديثة أيضاً، كما أنه لا وجود لدروس الإرشاد التربوي في المدارس المهنية أسوة بالمدارس الأكاديمية، حيث أن دور المرشد التربوي ضروري لحل مشكلات المدرسة.

ويضيف السيد عبد الهادي قائلاً؛ من جانب آخر نجد أن أغلب طلاب هذه المدارس هم من ذوي المستويات العلمية الضعيفة، وهناك من الطلاب من يمكن عدهم شبه أميين مما يجعلنا نتساءل: كيف استطاع هؤلاء اجتياز المرحلتين الابتدائية والمتوسطة. ونحن نعلم أن الغاية من وجود هذه المدارس وكما هو معروف تخريج ملاكات وسطى لغرض زجهم في دوائر الدولة ومؤسساتها الإنتاجية كي يساهموا في عملية التنمية، ولكن نتيجة الحروب والظروف المأساوية التي مررنا بها توقف الاعتماد على خريجي هذه المدارس، وزادت نسبة البطالة لعدم وجود تنمية حقيقية أصلاً، وهذا أدى إلى عزوف الطلاب عن الاقبال على التعليم المهني مع محدودية قبولهم في المعاهد والجامعات. كذلك فإن مناهجنا الدراسية قديمة وتم تأليفها في سبعينيات القرن الماضي إذ لم يجر عليها أي تحديث أو تطوير، ولدينا في التعليم التجاري كتابان خاصان بالطابعة العربية والإنكليزية مع عدم وجود طابعات في أغلب المدارس صالحة للاستعمال والتعليم، وما موجود لدينا من طابعات ليس سوى سكراب عمرها أكثر من ٣٥ عاماً مصنوعة في ألمانيا الشرقية التي زالت عن الخريطة.

أين المشرفون؟

ويتطرق السيد رعد عبد الهادي إلى مسألة الإشراف الاختصاص فيقول؛ إن عدد المشرفين الاختصاص في قسم التعليم المهني لتربية ديالى اثنان فقط من ذوي الاختصاصات الصناعية بينما الاختصاصات الأخرى بلا مشرفين مثل الاختصاص التجاري فلماذا لا يكون هناك مشرف لكل اختصاص، ليتفرغ كل مشرف لمتابعة أمور القسم الخاص به من حيث توفير الكتب المدرسية، ومواد التمارين، والتدريب العملي، وبقية الاحتياجات التي ينبغي توفيرها لكل قسم.

وأخيراً، يقول مدير إعدادية بعقوبة المهنية؛ العلاقة بين التعليم المهني ومديرية التربية يشوبها التوتر دائماً وكأن هذا القسم جاء من كوكب آخر، والغريب أن وزارة التربية تسير على النهج نفسه أحياناً فمثلاً تستثني الوزارة المدارس المهنية من بعض الامتيازات مثل الحقائب المدرسية، إذ أن المدارس المهنية غير مشمولة بتوزيعها . أي الحقائب . على طلبتها..

بنايات ومكائن قديمة:

شيدت بناية إعدادية بعقوبة الصناعية في العام ١٩٤٢، وفي العام ١٩٦٩ استخدمت إعدادية للصناعة، للمرة الأولى، ومنذ ذلك الحين لم ترمم.. جدرانها تعلوها الرطوبة، وفي بعض أقسامها وصفوفها تنضح السقوف بماء المطر، وآفة الأرضة منتشرة، وخدمات الماء والمرافق الصحية تكاد تكون معدومة لـ ٩٠٠ طالب، وعلى الرغم من المساحات الواسعة لا توجد ساحات رياضة.. لكل هذا فهي غير مؤهلة وغير صالحة بالمقاييس كلها لدوام الطلبة ووضع المكائن والأجهزة ناهيك عن أجهزة الكومبيوتر التي تسلمتها إدارة المدرسة لتفتح قسماً لصيانة الحاسوب.. هذا ما يؤكده الملاك الإداري والتدريسي للإعدادية.. أما مدير الإعدادية المهندس لطيف حسن محمد فيقول: لقد جعلتنا مديرية التربية مستودعاً لسكرابها، المدرسة واسعة والأسيجة غير آمنة وليس لدينا سوى حارس واحد عمره ٦٥ عاماً، أثاث الإدارة قديم ،ومشكلتنا الكبرى هي مع الكهرباء إذ كيف يمكن تشغيل المكائن والأجهزة وتدريب الطلبة من دون كهرباء التي تنقطع ساعات طوال، وليس لدينا مولد، وأيضاً لا توجد مواد لأغراض التمارين. أما المكائن والأجهزة فهي قديمة، وحتى تلك التي تسلمناها حسب مذكرة التفاهم فهي قديمة أيضاً (أكد أحد رؤساء الأقسام لنا إن كثيراً من تلك المكائن جاءت وقد انتزعت أجزاء مهمة منها).

ويضيف المهندس لطيف محمد حسن؛ إن عدد ملاكنا التدريسي والتعليمي ١٢٠، وهناك تكدس للمعلمين الصناعيين في الأقسام.. لدينا قسم صيانة الحاسوب الذي تخرجت فيه الدفعة الأولى في العام الماضي، وفيه سبعة من أجهزة الكومبيوتر الموضوعة في مكان رطب غير صالح لاستخدام الحاسوب. وعلى الرغم من هذا فقد حققنا أعلى نسبة نجاح خلال السنوات الخمس الأخيرة بين المدارس المهنية في محافظة ديالى.

لم نعد منتجين

وتحدث معاون شؤون الطلبة في الإعدادية السيد خليل عبد محمد عن جوانب أخرى من معاناة مدرسته فقال؛ في السبعينيات والثمانينيات كانت المدارس المهنية منتجة وكنا نقيم معارض سنوية ونبيع خلالها منتجاتنا.. الآن توقف الإنتاج وإقامة المعارض بسبب عدم وجود مواد تمارين وكذلك محدودية تشغيل المكائن بسبب شحة الكهرباء.. هناك مشكلة الكتب المدرسية أيضاً.. بعض الكتب لم تصل إلينا حتى الآن، مثل مادة اللغة الإنكليزية للصف الأول. وبعضها وصلت بعد نصف السنة.. كما أن لدينا أكداساً من الرحلات القديمة التي وضعتها مديرية التربية في ساحات الإعدادية، خشبها قديم، ومتروكة تحت المطر، ومعرضة لمخاطر الحريق.. أقترح أن تباع في المزاد العلني، أو ترسل للمعمل الإنتاجي لوزارة التربية للافادة منها.

وأود بهذه المناسبة (والكلام لا يزال للسيد خليل) أن أنوه إلى أن الإقبال على المدارس المهنية قد تضاءل، ففي العام الماضي قبلنا ٣٣٠ طالباً، فيما لم يتقدم للدراسة في إعداديتنا في هذا العام سوى ١٠٠ طالب. والسبب هو تأخر إعلان المعهد الفني في بعقوبة قبول جميع خريجي إعداديات الصناعة في المحافظة، أي أن هذا القرار أعلن عنه بعد غلق باب القبول في الإعداديات المهنية.

جددوا المناهج!

مدير إعدادية حطين الصناعية المسائية المهندس عبد المنعم عبد الكريم تطرق هو الآخر إلى مشكلات مشابهة، وأخرى مختلفة، حيث أكد مسألة المناهج التي أضحت قديمة لا تلائم التطور التقني في حياتنا العصرية، كما أن الملاك الفني من مهندسين ومعلمين صناعيين بحاجة إلى دورات تطويرية، ولا سيما في مجال الحاسوب. كما أن شخصية بعض المعلمين والمدرسين ضعيفة، كما يقول، فهم لا يتخذون تدابير صارمة تجاه الطلاب خصوصاً في الامتحانات، فنجد أن مجال الغش في الامتحانات الفصلية كبير، وهذا ما يقلل من قيمة التعليم.

خريجون لا يتقنون التصليح

وقال المهندس عبد المنعم؛ إن الورش الصناعية في معظم مدارسنا معطلة بسبب عدم توفر المولدات الكهربائية، وعدم وجود مواد التصنيع من(خشب، حديد، بليت، أسلاك لف، الخ)، وفي الغالب يتخرج الطالب في المرحلة الإعدادية المهنية وهو لا يتقن صيانة وتصليح أو تأسيس المكائن والمعدات في مجال اختصاصه لأنه يقضي ثلاث سنوات دراسية ولا يشغل الماكنة في الورشة وإنما يكتفي بالتفرج عليها. وأيضاً أريد أن أؤكد أن خريجي التعليم الصناعي كانوا سابقاً يعينون في مؤسسات ودوائر الدولة فنيين وملاكات وسطى، وفي الوقت الحاضر، إذا لم يقبلوا في المعاهد والكليات فإنهم ينضمون إلى جيش العاطلين عن العمل.

بناية قديمة رطبة

بعد انتهاء جولتنا في بعض المدارس المهنية في المحافظة توجهنا إلى قسم التعليم المهني في المديرية العامة للتربية في ديالى، والتقينا أولاً بالباحث العلمي هناك الدكتور سعد ذياب الذي أعاد على مسامعنا مشكلات قدم البنايات، حيث لم تشمل المدارس المهنية بمشاريع الترميم، وقدم أو عدم توفر العدد والمكائن، وعدم توفر مواد التدريب، ومشكلة الكهرباء، وانعدام الدورات التطويرية للمدرسين والمعلمين. وأشار الدكتور سعد إلى ضعف أو انعدام متابعة وزيارة الاختصاصيين والخبراء من ديوان الوزارة ومديرية التعليم المهني لمدارسنا للوقوف على توزيع بعض الكتب قال مدير القسم؛ إن قسماً من الكتب الآن تحت الطبع وستصل إلينا قريباً. ولم ينف ضعف الإقبال على الدراسة في مدارس التعليم المهني ‘فقال؛ نعم، بعض الأقسام تكاد تندثر مثل قسم التصميم والخياطة حيث ليست لدينا الآن سوى ثماني طالبات من الصف المنتهي في إعدادية التحدي في الخالص. وتحدث مدير القسم عن الدورات التدريبية وضرورة إقامتها قائلاً؛ آخر دورة تدريبية لجميع الاختصاصات أقمناها بإشراف قسمنا في كانون الأول الماضي، ونحن بحاجة إلى دورات متخصصة بإشراف الوزارة ومديرية التعليم المهني في داخل القطر وخارجه لرفع مستوى كفاءة الأداء عند ملاكاتنا التدريسية والفنية.

واقترح مدير القسم أن تشيد أبنية مدرسية متخصصة للصناعة، فبعض المدارس الصناعية هي فعلاً موجودة في أبنية مدارس ابتدائية. كما اقترح توفير مولدات كهربائية لجميع المدارس المهنية، وقال؛ كتبنا بهذا الخصوص إلى الجهات المعنية فأقسام الميكانيك وصيانة الحاسوب في إعداديات الصناعة على سبيل المثال بحاجة ماسة لمثل هذه المولدات.

اقتراحات

يقترح مدير إعدادية حطين المسائية المهندس عبد المنعم عبد الكريم تمويل المدارس المهنية سنوياً بسلف نقدية لغرض شراء المواد الأولية ومواد التمارين وقطع الغيار، وإعادة العمل بنظام الاستهلاك للموجودات المستديمة التي أكل الدهر عليها وشرب. كما يقول . أو استبدالها، علماً أنه توجد في مدارسنا أجهزة وأدوات وآلات يزيد عمرها على ٥٠ سنة. وإشراك جميع الفنيين من مهندسين ومعلمين صناعيين في دورات تطويرية حديثة، وإعادة العمل بصرف مخصصات الخطورة والمخصصات الهندسية للملاك التدريسي والتعليمي. وكذلك زيادة خطة القبول في المعاهد والكليات للطلاب المتخرجين من المدارس المهنية، وتعيين هؤلاء الخريجين في دوائر الدولة. واستحداث بنايات نموذجية للمدارس المهنية التي لم تبن منها في ديالى أية واحدة منذ أكثر من ربع قرن.

وأخيراً يتحدث مدير إعدادية بعقوبة المهنية السيد رعد عبد الهادي عن قضية التدريب الصيفي لطلبة التعليم المهني فيقول؛ التدريب الصيفي شكلي في الغالب، ولا سيما عند إرسال الطلاب إلى دوائر الدولة لهذا الغرض حيث تقوم هذه الدوائر بوضعهم . أي الطلبة المتدربين . في الاستعلامات، أو تكليفهم بقطع التذاكر في المستشفيات مثلاً، وبالتالي تزويدهم بكتاب يفيد أنهم أكملوا التدريب الصيفي بدرجة ٩٠٪، أو ١٠٠٪، وبعض الدوائر تطلب من الطلبة المتدربين الذهاب إلى بيوتهم، والمجيء في نهاية الفترة المحددة لتسلم كتب مشاركتهم . ستجدونها جاهزة، يقولون لهم . ولذا نقترح . والكلام لا يزال للسيد رعد؛ إنشاء مركز مهني للتدريب في كل محافظة يكون تابعاً لقسم التعليم المهني في المحافظة، ومجهزاً بوسائل التدريب للاختصاصات المهنية كافة، يديره مشرفون اختصاص، ويكون التدريب فيه مواكباً التطور العلمي في باقي دول العالم، وصرف مخصصات تدريب للطلبة وذلك لسد أجور النقل والطعام، وضرورة حصول خريج التعليم المهني على شهادة تأييد بالتدريب من المركز الذي اقترحنا إنشاءه، إلى جانب الوثيقة المدرسية، على أن تفرض إجراءات رقابية على منح تلك الشهادة كجزءاً من متطلبات التعيين أو القبول في الكليات والمعاهد.

وماذا بعد؟

لا شك في أن ظروف البلد الأمنية والسياسية والاقتصادية تحول دون تذليل مشكلات التعليم المهني كلها في وقت قصير، ولا أظن أن الوزارة ومديرية التعليم المهني فيها وكذلك المديرية العامة للتربية في ديالى غافلة عن وجود هذه المشكلات، وهناك محاولات لحلها، حيث كانت (المدى) حاضرة في إحدى ندوتين مهمتين عقدتهما المديرية في بعقوبة لمناقشة واقع التعليم المهني وتطوره، وقامت بتغطيتها من خلال تقرير مفصل نشرناه قبل أشهر. غير أن التعليم المهني في البلد، ذلك أن حالة ديالى ليست خاصة أبداً، إذ أن المدارس المهنية في بقية المحافظات تعاني مشكلات ومعضلات مشابهة.. نقول؛ أن التعليم المهني في البلد يتحمل الآن وفي المستقبل القريب، إلى حد بعيد، عبء وشرف إعداد الملاك العراقي الملقى على عاتقه عملية التنمية الصناعية والزراعية والإدارية التي هي المطلب الأساس لبناء بلد متطور مزدهر راقٍ. أمل العراقيين جميعاً .

وفي هذا المقام نقترح إقامة ندوة، أو مؤتمر موسع في بغداد لمناقشة واقع التعليم المهني في القطر يحضره مندوبون من أقسام التعليم المهني في المحافظات، والمشرفون الاختصاص، وباحثون معنيون بالتعليم المهني، ومن الضروري أيضاً دعوة المنظمات الإنسانية التي لها مقرات في القطر ومنظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة للوصول إلى أنجع الحلول وأسرعها، فالزمن، مع التأجيل والتلكؤ والانتظار، لن يجري لصالحنا على أية حال، وكما تعلمون.